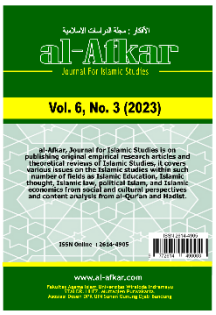

AL-AFKAR: Journal for Islamic Studies
Vol. 6 No. 3 (2023). P-ISSN : 2614-4883; E-ISSN : 2614-4905

Journal website: https://al-afkar.com

Research Article

الفهم الدقيق في الخطوط العريضة في الأخلاق و التجارة والإقتصاد الإسلامية

Mursheed Achmad[1], Mohammad Zakki Azani[2], Isman[3]

1. Universitas Muhammadiyah Surakarta, pedroalejandro481@gmail.com
2. Universitas Muhammadiyah Surakarta, mza650@ums.ac.id
3. Universitas Muhammadiyah Surakarta, ism190@ums.ac.id

Copyright © 2023 by Authors, Published by AL-AFKAR: Journal For Islamic Studies. This is an open access article under the CC BY License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0).

Received : April 17, 2023 Revised : May 21, 2023
Accepted : June, 18 2023 Available online : July 04, 2023

How to Cite: Mursheed Achmad, Muhammad Zakki Azani and Isman (2023) " الفهم الدقيق في الخطوط العريضة في الأخلاق و التجارة والإقتصاد الإسلامية", *al-Afkar, Journal For Islamic Studies*, 6(3), pp. 741–753. doi: 10.31943/afkarjournal.v6i3.608.

الملخص

حض الإسلام وشريعته على السعى من أجل الثراء المادي وتراكم الثروة .وكان الرسول نفسه مدير أعمال وتاجراً، إذ تزوج من امرأة مقتدرة كانت لها تجارتها الخاصة المعتبرة .ويُحل القرآن من جانبه التجارة والأعمال باعتبارهما أعمالاً مشروعة يمكن للإنسان السعي فيها بعد انقضاء واجب الصلاة. كما نجد في الشريعة قواعد وقوانين مفصلة خاصة بالبيع والعقود والتجارة . تتشبع كل

المعاملات التعاقدية في الشريعة بصبغة القيم الأخلاقية، ويلزم أن تفترض العقود الرضا حت تكون صحيحة وبأن يعيش الإنسان بحسب فضائل الدين، حيث يكون للصدق والبساطة والاستقامة والإيمان والعدل في التعامل الأولوية الأولى والقيمة الأسمى .
الكلمة الرئيسية : الأخلاق ، التجارة ، الإقتصاد الإسلامية

المقدمة:

الأخلاق يُعرف الخُلق في اللغة العربية بالطبع والسجية لأنّ صاحبها قد قُدِّر عليه، وفي مقولة أخرى هي الدِّين والمروءة، قال العلاّمة ابن فارس: الخاء واللام والقاف أصلان :أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء.[1]

والأخلاق في الاصطلاح هي هيئة راسخة في النفس، يصدر عنها العديد من الأفعال بشكل سهل ومُيسّر، دون الحاجة للتروي أو التفكير، فمن الممكن أن يصدُر عن هذه الهيئة أفعال مذمومة أو محمودة.[2] الأخلاق الإسلامية تعتبر الأخلاق الإسلامية من سمات المؤمنين الصالحين، حيث تساعدهم على تجنب الوقوع في العيب، واللوم، والنقد، ولا تجعل صاحبها يميل إلى الخطيئة أو الإجرام، لأنّ الأخلاق تُعتبر من الهدي النبوي، والوحي الإلهي، وهي خُلق الرسول صلى الله عليه وسلّم، قال الله سبحانه وتعالى):وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ.[3]

تعتبر مكارم الأخلاق بناء شيّده أنبياء الله عليهم السلام، وقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلّم حتى يُتمم ذلك البناء، من أجل أن يكتمل صرح مكارم الأخلاق، كما أنّ امتلاك الإنسان للأخلاق دون امتلاكه للدين هو أمر لا فائدة منه، قال النبي صلى الله عليه وسلّم) :إِنَّما بُعِثْتُ لأُتمِمَ صالحَ الأخلاقِ].(٢)[4]أهمية الأخلاق تتبين أهمية الأخلاق بالإسلام لعدّة أمور، منها ما يلي]:٢ [اختيار الرسول صلى الله عليه وسلّم أن تكون الغاية من بعثته هي الدعوة لمكارم الأخلاق،

فقد بيّن الرسول عليه السلام بهذا الأسلوب مدى أهمية الخُلق، بالرغُم من وجود العديد من الأمور الأهم من الأخلاق مثل :العقيدة، والعبادة، إلا أنّ الخُلق يبرز بشكل أكبر أمام الناس أكثر

---

[1]إيهاب كمال أحمد(2014-4-22) ،" تعريف الأخلاق في اللغة والشرع والاصطلاح"،

[2]حسين بن سعيد الحسنيه،" أَخْلاقُ المسْلِمْ"،www.saaid.net ، اطّلع عليه بتاريخ .2018-3-23 بتصرّف.

[3]سورة القلم، آية

[4]رواه ابن عبد البر، في التمهيد، عن أبي هريرة، الصفحة أو الرقم24/333 :، خلاصة حكم المحدث : صحيح.

من سائر الأعمال الإسلامية، حيث إنّ الناس لا يستطيعون رؤية عقيدة الإنسان لأنّ مكانها بالقلب، كما أنّهم لا يرون العبادة، إلا أنهم يرون الأخلاق ويتعاملون من خلالها، لذا سيقوم الناس بتقييم دين الإنسان بالنظر لتعامله معهم، ويحكمون على صحّته من خلال خُلقه وسلوكياته .تعظيم الإسلام لحُسن الخُلق، لأنّه ليس خُلق مُجرّد بل عبادة يؤجر العبد عليها، وهو من الأُسس التي يتفاضل الناس بها يوم القيامة، والدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلّم) :إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسنَكُم أخلاقًا ، وإنَّ مِن أبغضِكُم إليَّ وأبعدِكُم منِّي يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقونَ والمتفَيهِقونَ، قالوا : يا رسولَ اللَّهِ، قد علِمنا الثَّرثارينَ والمتشدِّقينَ فما المتفَيهقونَ ؟ قالَ : المتَكَبِّرونَ. [5]تعتبر الأخلاق أساس بقاء الأُمم، وهي المؤشر على انهيار الأمّة أو استمرارها، لأنّ انهيار أخلاق الأُمّة هو انهيار لكيانها، والدليل قوله تعالى) :وَإِذا أَرَدنا أَن نُهلِكَ قَريَةً أَمَرنا مُترَفيها فَفَسَقوا فيها فَحَقَّ عَلَيهَا القَولُ فَدَمَّرناها تَدميرًا.[6]

تعتبر الأخلاق من أسباب المودّة وإنهاء العداوة، قال الله سبحانه وتعالى) :وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ.[7] الخُلق أفضل الجمالين، حيث ينقسم الجمال إلى قسمين، هما الجمال الحسّي، وهو الجمال الذي يتمثّل في الهيئة، والشكل، والجاه، والمنصب، والجمال المعنوي الذي يتمثّل في السلوك، والذكاء، والعِلم، والأدب، وقد ذكر الله عزّو جلّ بأنّ للإنسان عورتين الأولى هي عورة الجسم التي تُستر بالملابس، وعورة النفس التي تُستر بالأخلاق، وقد أمر الله بالسِتر، وذكر بأنّ السِتر المعنوي أهم من الحسّي، والدليل قوله تعالى) :يا بَني آدَمَ قَد أَنزَلنا عَلَيكُم لِباسًا يُواري سَوآتِكُم وَريشًا وَلِباسُ التَّقوى ذلِكَ خَيرٌ ذلِكَ مِن آياتِ اللَّهِ لَعَلَّهُم يَذَّكَّرونَ.[8]

أقسام الأخلاق يوجد العديد من أقسام للأخلاق، وذلك تبعاً لعدة أمور، هي كما يلي : الأخلاق من حيث المصدر تنقسم الأخلاق من مصدرها إلى قسمين، هما,[9] الأخلاق الغريزية :

. [5]رواه الألباني، في صحيح الترمذي، عن جابر بن عبدالله، الصفحة أو الرقم2018 :، خلاصة حكم المحدث : صحيح

[6]سورة الإسراء، آية .16 :

. [7]سورة فصلت

[8]سورة الأعراف، آية.

^ .أ ب" أقسام الأخلاق"،www.alukah.net ،25-3-2014 ، اطّلع عليه بتاريخ .23-3-2018 بتصرّف

الأخلاق التي فُطر عليها الإنسان، والدليل على ذلك الحديث النبوي) :إنَّ فيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُما اللهُ الحِلْمُ والأناةُ . قال : يا رسولَ اللهِ ! أنا أَتَخَلَّقُ بهما أَمِ اللهُ جَبَلَنِي عليهما ؟ قال :بَلِ اللهُ جبلكَ عليهما . قال : الحمدُ للهِ الذي جَبَلَنِي على خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهما اللهُ ورسولُه.[10]

الأخلاق المكتسبة :الأخلاق التي يحصُل عليها الإنسان عن طريق التعود والتعلّم، والدليل على ذلك من السنّة، قول الرسول صلى الله عليه وسلّم) :إنَّما العلمُ بالتَّعلُّمِ)[11] الأخلاق من حيث المعاملات تنقسم الأخلاق الإسلامية بمن تُمارس معه إلى ثلاثة أقسام،

هي:

1. الخُلق مع الله عز وجلّ :يُقصد في هذا النوع من الأخلاق الأسس والقواعد التي تحكُم علاقة الإنسان بربه، بالإضافة إلى الآداب التي يتحلى بها الإنسان، وممارساته الباطنة والظاهرة
2. .الخُلق مع النفس :هو ما يلتزم به الإنسان مع نفسه من الأخلاق والآداب .الخُلق مع الخلْق : هو الأمر الذي يلتزم به الإنسان من أخلاق وسلوكيات مع الآخرين، وهي القواعد الأخلاقية التي تضبط علاقة الإنسان مع من حوله، وتتمثّل هذه القيم في الخُلق مع الوالدين، والخُلق مع الأنبياء، والخُلق مع الكفّار،
3. والخُلق مع المؤمنين .أمور تساعد على اكتساب الأخلاق هناك العديد من الأسباب والوسائل التي تساعد على اكتساب الخُلق الحسن، وهي]:٢ [سلامة العقيدة :يعتبر السلوك ثمرة مما يحمله الإنسان من معتقدات وفكر، حيث إنّ انحراف السلوك يتسبب في ظهور خلل في المعتقد، فإن صحّت العقيدة أصبحت الأخلاق حسنة، وذلك لأنّ العقيدة الصحيحة تردع الإنسان من مساوئ الأخلاق، وتحمله على مكارمها .الدعاء :يلجأ العبد إلى ربه بالدعاء من أجل أن يرزقه حُسن الخُلق، والدليل من السنّة قول الرسول صلى الله عليه وسلّم) :اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ من مُنكراتِ الأخلاقِ والأعمالِ والأَهواءِ والأدواءِ.[12] الجهاد :يعتبر الخُلق أحد أنواع الهداية التي

[10]رواه الألباني، في صحيح أبي داود، عن زراع بن عامل بن عبدالقيس العبدي، الصفحة أو الرقم5225 :، خلاصة حكم المحدث : صحيح.

. [11]رواه الزرقاني، في مختصر المقاصد، عن أبي الدرداء، الصفحة أو الرقم190 :، خلاصة حكم المحدث : صحيح

[12]رواه السويطي، في الجامع الصغير، عن قطبة بن مالك، الصفحة أو الرقم1466 :، خلاصة حكم المحدث : صحيح

يحصُل عليها الإنسان عن طريق المجاهدة، قال الله تعالى) :وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [13](المحاسبة :هي نقد النفس عند ارتكابها للأفعال الذميمة.

الخطوط العريضة في الأخلاق و التجارة والإقتصاد الإسلامية

نشأ نموذج هذا الاقتصاد مع القرآن نفسه ، ثم أحكمته السيرة النبوية وبعدها نظام الشريعة الشامل .وبينما اختلفت الممارسات التجارية والأنشطة الاقتصادية من منطقة إلى أخرى ومن قرن إلى آخر، سادت القيم الأخلاقية الشرعية وأوجدت واقعاً عاماً يشهد على نجاحها وانتشارها.

ويمكن قياس هذا النجاح بواقعة لا مِرَاء فيها مفادها أنَّ الحضارة المادية الإسلامية والتجارة الدولية والإقليمية الإسلامية كانتا من بين الأكثر نشاطاً وتميزاً في تاريخ العالم قبل الحديث[14] وهذا التوصيف) الذى ربما لا يفي بالحق (لا يدلل عليه ما نعرفه عن الإسلام وتاريخه الاقتصادي فحسب، بل تشهد له أيضا حقيقة أن الاستعمار الأوروبي لم يستطع الهيمنة على البلاد الإسلامية خلال القرن التاسع عشرمن[15] دون تفكيك الأبنية الاقتصادية التي اعتمدت إلى حد كبير على قواعد وقوانين وقيم شرعية[16].

وكان ذلك سبباً مهماً لإصرار المشروع الاستعماري على استئصال الشريعة، إذ كانت عائقاً أمام توسع أوروبا السياسي، وأمام سيطرتها الاقتصادية، وهو الأهم .ويلخص هذا العائق المتصور والحقيقي كل شيء، إذ يشير إلى عدم توافق الشريعة كنظام أخلاقي مع طرائق الرأسمالية وقيمها.

ثمة فكرة لابد منها في أي عرض لاقتصاد الشريعة الأخلاقي، ألا وهي أن حفظ الملكية والثروة وإنماءهما يمثل إحدى الكليات الخمس التي أسست بنية النظام الشرعي، وبالتالي المجتمع

---

[13] سورة العنكبوت، آية.69 : .

[14] [1] Allen E. Buchanan, Ethics, Efficiency, and the Market, Rowman and Allanheld Texts in Philosophy (Totowa, NJ: Rowman and Allanheld, 1985), P P.27 – 28 ht.

[15] وائل حلاق (2014) الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحدثة الأخلاقي. الخطوة للوثيق والدراسة

[16] انظر، على سبيل المثال:

الإسلامي بمجمله، وحددت طريقة عملهما[17]، أما الكليات الأربع الباقية فهي الحفاظ على النفس والدين والعقل والنسل) أي الأمة ومجتمعاتها الجزئية[18].

وتتحقق كلية حفظ النفس عبر تشريعات القصاص، وهي تشمل، من بين ما تشمل، الدية أو اختيار القصاص أو العفو .ويتعزز حفظ الدين بما ندعوه تقنيات الذات[19]، إضافة إلى قوانين الجهاد والردة، وهي بمنزلة الدفاع عن حقوق المسلمين ضد التهديدات الخارجية والفتن الدينية الداخلية.

ويتحقق حفظ العقل الذي هو أساس أي فعل " قانوني) "بما في ذلك الصلاة والحج، ...إلخ(، بواسطة قواعد تنظيمية متعددة تحدد الأهلية القانونية علاوةً على تلك القوانين التي تحرم شرب المسكرات .ويتحقق حفظ النسل بواسطة قوانين تنظيم الزواج وتتعلق بالزنا والطلاق والميراث والحضانة وما شابه ذلك .وعلى الرغم من أن كلمة" نسل "تعني حرفياً الأطفال أو الذرية، فإن المعنى " القانوني "والأحكام الخاصة بهذه المقولة تشمل الأسرة الممتدة، وبالتالي المجتمع الذي تعيش فيه وترتبط مع سواها بالزواج وغيره من الروابط الاجتماعية – الاقتصادية[20].

كانت الكليات الخمس التي يُجْمَع في الإسلام على أنها تحدد مقاصد القانون الأخلاقي – وعلى أنها " شرعت من أجل مصالح العباد"–[21] قد نشأت في الفقه نتيجة مشروع استقرائي دفع الفقهاء، بعدما نضجت الشريعة، إلى أن ينظروا خلفاً إلى الصورة الكاملة، إذا جاز التعبير، ويتخيروا

---

[17] لمقدمة عن ذلك، انظر _ felicitas Opwis," Islamic Law and Legal change: The Concept of Ma_ Ia : a in Classical and Contemporary Legal Theory," in: Abbas Amanat and Frank Griffel, eds., Shari' a: Islamic Law in the Contemporary Context (Stanford, Calif: Stanford University Press,2007),pp. 66 – 71, and Wael Hallaq, A History of Islamic Legal Theories: An Introduction to Sunni usul al- fiqh (Cambridge; New York: Cambridge University Press,1997),pp.168 – 174 and 180 – 187.

[18] هذه إضافة من المؤلف على الترجمة العربية]المترجم.[

[19] Wael Hallaq," Maqasid and the Challenges of Modernity" AL- Jamiah, vol.49,no1 (2011),pp. 1 – 10.

[20] أبو اسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد) القاهرة :محمد على صبيح، (1970 – 1969، ج2؛ محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول) سورابايا :شركة مكتبة أحمد بن سعيد بن نبهان،] د.ت ([، ص218 – 214 ، ومحمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد طاهر الميساوي) عمان :دار النفائس، (2001 ، ص.449 – 430.

[21] "الشريعة وضعت لمصالح العباد :"الشاطبي ج2، ص.3

هذه الكليات من المجال الكامل للثقافة القانونية، من دون أن يقيدوا أنفسهم بنصوص الوحي أو بمناهج أصول الفقه العقلية.[22]

بعبارة أخرى، اختصر التأثير الكلي للشريعة – باعتبارها نظاماً خطابياً ونظرياً ومؤسسياً وعملياً – في هذه الكليات التي ما إن جرى استخلاص مضامينها وتفصيلاتها حتى أنتجت بدورها الشريعة نفسها بكل ما هي عليه .وبالبناء على خمسة قرون على الأقل من التراث القانوني القائم، حددت الكليات بصورة استقرائية وراحت تفصل على نحو مستمر بعدما أصبحت خصائص نموذجية تحدد الشريعة كنظام قانوني وثقافي .ويمكن القول إن هذه الكليات تمثل معنى الإسلام[23]. بيد أن أيا من هذه الكليات ليس مستقلاً .وكي تُطَبق بأى قدر معقول وتكون ذات معنى، لابد لكل منها أن تتكئ على الكليات الأخرى وتتداخل معها، محافظةً على علاقة اعتمادِ متبادلِ في ما بينها .ومن الواضح أن كلية حفظ النفس هي كلية أساسية تضع البنية الأساس للنظام الذي لا يمكن للكليات الأخرى أن تتحقق من دونه.

ولا تقل كلية حفظ الدين أهمية عن سابقتها، فهي تحدد كلاً من نوعية النظام الذي أسسه المبدأ الأول، أي حفظ النفس، وطبيعته .ولا يعني الجهاد والردة، المعاني السياسية السطحية والفجة التي اكتسباها اليوم، بل يمثلان أبنية مفهومية عميقة ترتبط بأعمال دينية وفلسفة حياة صوفية معتدلة، إضافة إلى تقنيات النفس ذات الأهمية العظمى .فإذا كانت الكلية الأولى آلية ميكانيكية تضع " قواعد النظام الاجتماعي"، فإن كلية حفظ الدين تعطي هذا النظام قيمه ومعانيه ونفسيته وروحانيته .ويلزم من هذا المنطق أن تتشابك الكلية الخاصة بالأسرة والمجتمع مع كلية الدين، لأن هذه الأخيرة هي أيضا أساس الأولى والمنتجة لها.

بيد أن كل هذه الكليات، بما فيها كلية العقل، تمثل السياق الذي يمكن من خلاله لكلية المال أن تتحقق وتصبح بناءة .كما تشترك كلية المال في جدلية مع كل واحدة من الثلاث الأخريات لتعزيز الكلية الخامسة .لذلك، من الدقيق القول إن العناصر المنتمية إلى المجموعة الكاملة

[22] Hallaq A History of Islamic Legal Theories, p p. 162 – 206 .

[23]أصبحت نظرية الكليات والمقاصد، بفضل هذه الخصائص كلها، موضوع نقاش حاد في العقد الأخير انظر على سبيل المثال :الندوة العالمية عن الفقه الإسلامي وأصوله وتحديات القرن الحادي والعشرين :مقاصد االشريعة وسبل تحقيقها المعاصرة، 3 ج) كوالالمبور : جامعة ماليزيا العالمية،.(2006

للكليات تعمل بصورة متزامنة كلما استدعيت أي منها للعمل .هكذا، قامت جدلية بنيوية من القيم والممارسات والمؤسسات الشرعية بتحديد مجال مبدأ حفظ المال وتقييده ودعمه وإخراجه إلى حيز الوجود .كما نظمت جدلية الاعتبارات الروحية والميتافيزيقية والدنيوية في آن معاً مبادئ حقوق الملكية واكتساب الثروة والحفاظ عليها وصرفها في الوقت نفسه.[24]

حض الإسلام وشريعته على السعى من أجل الثراء المادي وتراكم الثروة[25] .وكان الرسول نفسه مدير أعمال وتاجراً، إذ تزوج من امرأة مقتدرة كانت لها تجارتها الخاصة المعتبرة .ويُحل القرآن من جانبه التجارة والأعمال باعتبارهما أعمالاً مشروعة يمكن للإنسان السعي فيها بعد انقضاء واجب الصلاة.[26] كما نجد في الشريعة قواعد وقوانين مفصلة خاصة بالبيع والعقود والتجارة .وتمثل المساحة الكلية المخصصة لهذه القضايا، بما في ذلك الشركات التجارية والعهود والتحويلات والوكالات والودائع والقروض والإفلاس والاختلاس والإيجار وما شابه، ما لايقل عن 15 في المئة من سجل الشريعة المكتوب .

وإذا أضفنا القواعد والقوانين المالية الخاصة بالضرائب والمواريث والوصية والهدايا والأوقاف والطلاق وما شابه، ترتفع هذه النسبة إلى 25 في المئة أو أكثر.[27] وإذا أخذنا في الاعتبار الأهمية العظمى ل ''الأركان ''التي تشكل تقنيات النفس, [28]وفي ضوء المكانة المقدسة التي اكتسبتها الأسرة والقوانين الخاصة بها – ناهيك بمجالات التنظيم الأخرى التي لا تعد ولا تحصى – يصبح تخصيص ربع اهتمام النصوص للعقود والتجارة والمعاملات المالية جديراً بالملاحظة.

تتشبع كل المعاملات التعاقدية في الشريعة بصبغة القيم الأخلاقية، ويلزم أن تفترض العقود الرضا حت تكون صحيحة .والرضا مفهوم مشحون أخلاقيا ونفسيا .وهو يعني القبول الكامل

---

[24]لاتزال هذه العلاقات المعتمدة على بعضها مفهومة جيدا من بعض الكتاب في العصر الحديث .انظر على سبيل المثال :محمد باقر الصدر، اقتصادنا : دراسة موضوعية تتناول بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية للماركسية والرأسمالية والإسلام في أسسها الفكرية وتفاصيلها) بيروت : دار التعارف] د.ت([.، ص 298 – 290 وأجزاءً أخرى من الكتاب، ولمناقشة مفيدة لهذا الموضوع عند الصدر.

[25]محمد بن الحسن الحر العاملي، وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، 20 ج) بيروت :مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،(2007 ، ج12، ص 325 – 323 و331 – 329 ، حيث يصرح بأن فضائل التجارة المندوبة تتضمن '' زيادة العقل.''

[26]القرآن الكريم، '' سورة الجمعة ''الآية10 ، وأبوبكر محمد أحمد السرخسي، المبسوط، 31 ج) بيروت :دار الكتب العلمية، – 1993 (1994، ج30، ص.245

[27]

[28]انظر الجزء الثاني من الفصل الخامس من هذا الكتاب.

الخالي من أي أثرٍ للإكراه أو حتى التردد. [29]وهو يفترض التعامل العادل والنية الحسنة وراحة النفس لكل الأطراف المتعاقدة .ويجب أن توضع التجارة، كونها تعاقدية، في هذا الإطار الذي يتطلب العفو والسماحة والاستقامة وتجنب الجشع والطمع ووضع قيود ظالمة على الشركاء'' :رحم الله عبداً سمحًا إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا اقتضى''.[30] و ''التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين[31]'' ، بينما يصلى التجار الذين يغشون ويحتالون نار جهنم بما أثموا[32] .والتجارة قد تثير الريبة إذا جرت في سوق فسد فيه المال بسبب المعاملات السيئة، سواء انطوت على اختلاس أم مخاطرة مذمومة أم ربا[33].

وكان القلق من إمكان فساد التجارة والمال الناتج عنها، حتى ولو بطريقة غير مقصودة بسبب ممارسات السوق اللا أخلاقية، قد دفع الشريعة إلى وضع آليات قانونية وأخلاقية هدفت إلى'' تزكيه ''هذا المال .وهذا ما يفسر مطلب إيتاء الزكاة والمشاركة في الأعمال الخيرية المتعددة كالصدقة والوقف) الذي استحوذ على ما يقارب نصف الأملاك في البلاد الإسلامية بحلول القرن السادس عشر (بصورة غير مباشرة. [34]

وثمة افتراض أنه في كل بيع يوجد احتمال للإثم، أي مسؤولية أخلاقية، حيث إن المرء، مهما يكن أميناً، لن يعرف على الدوام مصدر أرباحه .وهذا الإثم هو من الكبر بحيث يعتبر باعثاً

---

[29]محمد بن علي الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، تحقيق محمود إبراهيم زايد،3 ج) دمشق :دار ابن كثير،(200 ، ج2، ص 575وما بعدها، 586 وما بعدها، 642 – 641 و 744 وما بعدها؛ أبو زكريا يحيي بن شرف النو,ي، روضة الطالبين، تحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض،8 ج) بيروت :دار الكتب العلمية،] د.ت[.، ج3، ص5، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الحاوي الكبير في فقه الامام الشافعي ... وهو شرح مختصر المزني، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود؛ قدم له وقرظة محمد بكر إسماعيل وعبدالفتاح أبو سنة،19 ج) بيروت : دار الكتب العلمية،(1994 ، ج5، ص.13

[30]حديث نبوي .انظر :أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري،5 ج) بيروت :المكتبة العصرية،(1999 ، ج2، ص.617

[31]حديث نبوي .انظر :محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، 6 ج) القاهرة :دارالحديث،(1999 ، ج3، ص335

[32]وهو أيضا موضوع أحاديث نبوية أخرى .انظر :المصدر نفسه .انظر أيضا الدلالة الجمعية لهذه الآيات القرآنية :القرآن الكريم '' :سورة البقرة '' الآيات83 ،177 ،188 ،198 ،200 ،215 ، و279 – 275 ؛'' سورة النساء ''الآيات2 ،6 ،10 ،29 ،36 ،161 ، ؛'' سورة المائدة ''الآية89 ؛ '' سورة التوبة ''الآيات35 ،60 ،103 ؛'' سورة الإسراء ''الآية26 ؛ '' سورة النور ''الآية22 ؛'' سورة الروم ''الآية39 ؛ ''سورة المجادلة ''الآية13 ، و''سورة الجمعة ''الآية.10

[33]الحر العاملي، ج12، ص 350 – 349و .353 – 352 عن تحريم الربا والغرر، انظر

[34]عن الزكاة في المناظرات الحديثة، انظر.126 – 124 and 56 – 57 ,pp .Tripp :

على غضب الرب، والطريق الأسلم لتخفيف هذا الغضب هو الاشتراك في الأعمال الخيرية لمصلحة الفقراء وحتى عابري السبيل.[35] وأولئك الذين يكنزون الثروة ويجمعون المال حباً به – أي الذين بعبارة أخرى يضيعون المسئولية الاجتماعية بوصفها عبادة أصلية – لهم مصيرٌ واحدٌ مؤكد، ألا وهو نار جهنم[36].

ليس هذا الدافع الأخلاقي عرضياً ولا هامشياً بالنسبة إلى الثقافة القانونية إنه دافعٌ نموذجي، يحيط بنسيج قواعد الشريعة الخاصة بالمال والعقود والاستثمارات والمعاملات التجارية وكل ما له علاقة بالربح ويتغلغل فيها تماماً .ولا تنبع أي من هذه النّعم من عالم " متوحش "أو" بليد [37]" فهي جزء أساسٌ من النعم التي وهبها الله للبشرية .وقد منح الله البشرية كل تلك النعم والبركات من دون أن ينتظر أي نصيب له فيها، لأن ربحه أو مقابل استثماره في بشر قد لا يكونون من الشاكرين هو عرفانهم له .بيد أن غاية العرفان له، وهو الغني، لا تستقر عنده في النهاية، فللشكر أو العرفان انعكاس أنثروبولوجي لايمكن التعبير عنه إلا بطريقة واحدة :التصدق على الفقراء والبشر الآخرين كوسيلة لتقدير الواقعة الأساس التي مفادها أننا نعيش ونستمتع بالرزق الآمن الزائد عن حاجاتنا الأساس .هكذا يترجم الشكر، في تعريف الشريعة، إلى تصور ناضج للمسؤولية الاجتماعية، حتى على هذا المستوى المتواضع من تأمين الرزق.

الخاتمة

[35]موفق الدين عبدالله بن أحمد ابن قدامه، المغني، 14 ج) بيروت :دار الكتب العلمية،] د.ت([.، ج2، ص .702ولعرض حي للمؤسسات والمعاملات المستقرة لمساندة عابري السبيل في العالم الإسلامي، انظر:

[36]يظل هذا الفهم للثروة اليوم بقوته نفسها كما كان منذ ألف سنة مضت .انظر، على سبيل المثال :محمد البهي، الدين والدولة) القاهرة : مكتبة وهبة،(1980 ، ص.130 – 121

[37]انظر، على سبيل المثال :AL – Ghazali, Al- Ghazali ' s Path to Sufism and his Deliverance from Error: An Annotated Translation of al– Munqidh min al – dal al Translated by R. J. McCarthy; with a Preface by David Burrell and an Introduction by William A. Graham (Louisville, KY: Fons vitae, 2006), p.35.

يعتبر كسب الرزق الذي يحتاجه المرء لإعالة نفسه وأسرته ودفع ديونه التزاماً دينياً [38]وفرضا واجبا.[39]وموقف الشريعة الرئيس هو مبدأ الاستعفاف، بمعنى السعى ما أمكن إلى الاستقلال الاقتصادي وتجنب المساعدة المالية من الأخرين.[40]

بيد أن المكسب الذي يتخطى ذلك المعدل الأساس للرزق مستحب, [41]ولو من أجل الإنفاق على الفقراء أو مساعدة الأقارب البعيدين ذوي الحاجة .كما أن الاشتراك في مشروعات تجارية تدر أرباحاً كبيرة مباحٌ، حيث يمكن صرف تلك الأرباح في تحسين مستوى المعيشة، بل والعيش في بحبوحة.

غيرأن تلك الإباحة مشروطةٌ بأن يعيش الإنسان بحسب فضائل الدين، حيث يكون للصدق والبساطة والاستقامة والإيمان والعدل في التعامل الأولوية الأولى والقيمة الأسمى .وهنا يجب تحقيق مجموعتين من الالتزامات :حق الله وحق العباد .وأي مكاسب زائدة عن حاجة العيش يجب أن تنفق حيث تنفق الزيادة، بالنسبة إلى حق الله، كزكاة مال أو في أوجه خير أخرى كالصدقات والوقف وخلافه، وبالنسبة إلى حق العباد، تنفق أي زيادة في تسوية الديون الشخصية أو الوفاء باتفاقات مالية أو إعالة الأسرة الكبيرة، بما في ذك الأقرباء المحتاجين للنفقة مهما بعدت قرابتهم. إضافة إلى ذلك، يجب التنويه إلى أنه ما دام كل مال هو لله، فإن الفقير يُعَدُّ صاحب حق طبيعي في جزء من مال الغني،[42] وهو ما يعتبر دخلاً يزيد على الحاجيات الضرورية للاستكفاء .ويقرر القرآن صراحةً هذا الحق.[43]

---

[38]الفتاوي الهندية، المسماة، بالفتاوي العالمكيرية، جمع الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند،6 ج، ط) 3بيروت :دار إحياء الرتاث العربي، (1980، ج5، ص349 – 348؛ أبو عبدالله محمد بن مفلح، الآدب الشرعية، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وقدم له الأرناؤوط وعمر القيام،4 ج) بيروت :مؤسسة الرسالة،(1977 ، ج3، ص424 – 423و428 ، والسرخسي، ج30، ص.251 – 250

[39]تعترف الشريعة بخمسة أحكام تقع تحتها كل أعمال الإنسان، هي المباح والحرام والواجب والمكروه والمندوب.

[40]الفتاوي الهندية، ج5، ص349، وابن مفلح، ج3، ص.424

[41]انظر :المصدران نفسهما.

[42]القرآن الكريم'' : سورة الذريات ''الآية19 ، و''سورة المعارج ''الآيات . 25 – 23 تقول الآية الثانية:)الذين هم صلاتهم دائمون، والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم .(وفي السياق نفسه، فإن نهر السائل محرم تحريم إساءة معاملة اليتيم .انظر القرآ ن الكريم '' سورة الضحى '' الآيتان. 10 – 9

[43]ابن مفلح، ج3، ص . 426 – 424 تقصر مجموعة صغيرة من الفقهاء النفقة على دائرة صغيرة من الأقارب، وهو تحديد يتحداه دائما العرف الاجتماعي والممارسة الثقافية.

لابد للكسب أن يحقق هذه الشروط كلها، ولكن تبقى شروط ثلاثة أخرى جديرة بالذكر في هذا السياق.

☑ **و نفصل بعض فوائد لفهم الدقيق في الخطوط العريضة في الأخلاق و التجارة والإقتصاد الإسلامية:**

أولا، يجب أن يُنْظَر إلى أي دخل أو مكسب، على المستوى النفسي، على انه قادمُ من الله وبفضله، وهذا جزءٌ أساس من تقنيات النفس. ثانياً، لايجوز أن يبذل جهد فائق في تحصيل المال,[44] لأن ذلك يتناقض تماماً مع مبدأ أن الجهاد يجب أن يكون في السعي إلى أن يصبح المرء أفضل أخلاقياً[45].

هكذا، في حين يتطلب السعي الأخلاقي مجهوداً كاملاً فإن للكسب المادي أولوية أدنى . وأخيراً في عملية كسب الرزق أو اكتساب المال، تسود قاعدة " لا ضرر ولا ضرار [46]"هكذا، ينظَّم اكتساب المال، وهو الشيء المباح بل والمندوب، وفقاً لمبادئ أخلاقية أعلى تُخضعه وتفرض عليه قيوداً نوعية .وهذه المبادئ ليست من النوع القانوني المتخصص بل ترجع إلى التقنيات المعرفية والنفسية لدى الذات الأخلاقية .

ولا يكفي تجنب الدخول في مشاريع ربوية أو محتملة الغرر، وهما ركنان يزعم النظام البنكي والمالي الإسلامي الحديث الاعتماد عليهما إنما بصورة مُشِكلةَ .ويجب ممارسة الأعمال التجارية وتحصيل الربح وفق نظرة شاملة إلى العالم مستمدةٍ من نظام ممارسات وعقائد تشكل تقنيات النفس في مداها الكامل وتعكسها، لتشكل بدورها المكلف الأخلاقي وتقويه .وتغيب هذه التقنيات بالكامل عن أي طرح للبنوك والمالية الإسلامية الحديثة، وهي ظاهرة تفضي بالضرورة) عندما تضاف إليها الاهتمامات الفنية الضيقة التي تهيمن على هذه الطروح(، إلى استنتاج مفاده أن كلاً من نظرية

[45]المصدر نفسه، ج12، ص208 – 69 ، حيث يناقش كثيراً من الفضائل المكتسبة عن طريق جهاد النفس.

[46]ابن مفلح، ج3، ص442 – 426 ، والموسوعة الفقهية، 48 ج) الكويت :دار الصفوة للطباعة والنشر(1990 ,ج34 ،ص235

المعاملات البنكية والمالية الإسلامية الراهنة وتطبيقها معيب إلى حد بعيد .وفي نهاية المطاف، فهي إسلامية بالاسم وحده، ولاتكاد تعكس أي معنى للإسلام كنظام أخلاقي.[47]

المراجع و المصادر:

القران الكريم.

إيهاب كمال أحمد(2014-4-22) ،" تعريف الأخلاق في اللغة والشرع والاصطلاح"،

حسين بن سعيد الحسنيه،" أَخْلاقُ المِسْلِمْ"،www.saaid.net ، اطّلع عليه بتاريخ .2018–3-23 بتصرّف

الفتاوي الهندية، المسماة، بالفتاوي العالمكيرية، جمع الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، تعترف الشريعة بخمسة أحكام تقع تحتها كل أعمال الإنسان، هي المباح والحرام والواجب والمكروه والمندوب.

ابن مفلح، ج3، ص . 426 – 424 تقصر مجموعة صغيرة من الفقهاء النفقة على دائرة صغيرة من الأقارب، وهو تحديد يتحداه دائما العرف الاجتماعي والممارسة الثقافية.

محمد بن علي الشوكاني، السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، تحقيق محمود إبراهيم زايد،3 ج)دمشق :دار ابن كثير

الحر العاملي، ج12، ص 350 – 349و .353 – 352 عن تحريم الربا والغرر، انظر

موفق الدين عبدالله بن أحمد ابن قدامه، المغني، 14 ج) بيروت :دار الكتب العلمية،] د.ت([.، ج2، ص .702ولعرض حي للمؤسسات والمعاملات المستقرة لمساندة عابري السبيل في العالم الإسلامي،

الشريعة وضعت لمصالح العباد :''الشاطبي ج2، ص.3

أبو اسحق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المواقفات في أصول الأحكام.

وائل حلاق (2014) الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحدثة الأخلاقي

[47]عن معضلات المالية الإسلامية، انظر كتابات محمود الجمل، خصوصاً كتاب: Islamic Mahmoud A. EL- Gamal, Islamic Law, Economics, and Practice Finance (Cambridge; (uk) New York: Cambridge University Press, 2006).